طبقتي الجمهور الواسع والشعراء الشبان الذي دهشوا للمفارقات المسرحية واستجابوا للروح المأساوية وآمنوا بضرورة استمرار المعركة . ولكن جفاف اللفظ ، وعاميته احيانا ، وخشونة التركيب والابتذال المقصود في الصور مع القدرة على تنقيتها وتصعيدها الى ارفع الدرجات الفنية ... ولكن كل ذلك يضعهم على حافة الخطر فهذا شعر لا يمكن تقليده لانه مفصل على قياس صاحبه ورؤيته للعالم .

ومع ذلك ،وبالرغم من الحيرة البادية التي يوقعنا فيها مثل هذا الشعر الفريد ، لا بد من التساؤل : اين التفاوت ، اين الضعف في النسيج ، واين تسقط القصيدة واين تستجاد ، ما دام هذا التركيب الخشن يفرض نفسه على مخيلتنا بشكل اسر ؟ والجواب هو انه لا يمكن محاكمة الديوان ككل ، لانه في هذه الحالة سيفرض نفسه ويعتبر عصيا على النقد . لا بد من مناقشة نقدية لكل قصيدة بمفردها لان القصيدة الجيدة فيه لها فرادتها البادية في اتساق الصور واحكام البناء ، على الرغم من ان طريقة القوطية GOTHIC - STYLE تتسع للتفرعات والاستطرادات والشذوذات . لكن هذا لا يمنع ان تاتي القصيدة في النهاية وحدة مكتنزة كانها افرغت في قالب ، فلا وهي في مبانيها ولا انقطاع فكريا في معانيها ولا تركيب ذهنيا في صورها . فشتان مثلا بين قصيدة « ا ، ب » وقصائد : « الى رامبو » حيث يغلب التصور الذهني ، و« اغنية الى سمرقند » حيث تقع القصيدة في السرد وتفتقر الى اللمحات الشعرية التي ينجب توفرها لتميز الشعر عن السرد القصصي ، و« ثانيا » حيث الفكرة تحكم القصيدة ، وبعدها « قصيدة على اوراق البردى » حيث تخفق الاسطورة في التحول الى صورة معاصرة بسبب كثرة الاستطرادات التي تتحول الى حشو هو عبء على القصيدة يبتعد بها عن الهدف ، اي يقلل من تاثيرها ، كذلك فان قصيدة « مليكة المراكشية » تنوء بعبء التطويل الذي جعل التماعات الشعر تكاد تغيب في لهاث البوح الذي يمزج بين السيرة الذاتية والتاريخ العام . في حين ان قصيدة « الغزالة » اكثر تماسكا لان الشاعر اقل اندفاعا ، على ما يبدو . ولكن الناقد يجد نفسه في شك من صحة احكامه ، لان هذه الاحكام مستمدة من مقاييس الشعر المصقول . اما الاحكام الفعلية فينبغي ان تنشأ من المقارنة بين قصيدة وقصيدة ، فنوازن بين القصائد السابقة وبين قصائد ذات جودة لا تدفع ، مثل بعض القصائد التي درسناها من ديوان « الآن خذي جسدي كيسا من رمل » عام ١٩٧٥ ، حيث كان الشاعر في احسن حالاته الشعرية ، ولا ريب في ان هذا الديوان قمة انتاجه اذا اعتبرنا القمة الاولى في ديوان « قصائد على زجاج النوافذ » عام ١٩٦٩ حيث تبلور اسلوبه وظهرت ملامح نضجه التعبيري والرؤيوي منذ القصائد الاخيرة في ديوان « الاشجار تموت واقفة » عام ١٩٦٦ .

ان المقارنة بين القصائد ذاتها تستطيع ان تمنح الناقد معيارا لتخليص الجيد من الاجود في هذا الشعر الاشعث الذي يتابى على الاختيار الدقيق . ولكن من الصعب الاحتكام الى اي مقياس خارجي للشعر المألوف . وهنا تكمن فرادة الديوان ، بل وصعوبة ان يكون له اتباع ، لان كل تقليد معرض للانفضاح ان كان مباشرا وللسقوط ان كان محاكاة . فالتعلق والتسلق على الشعر المصقول ايسر بكثير منه على الشعر الخشن ، لان النمط الاخير اذا لم يفلح في انشاء سياق عريض من الوقائع والسخرية والتحدي والمواقف المسرحية والحيل البهلوانية يسقط سقوطا ظاهرا جدا .